نظام تعدد الزوجات في الإسلام
يستأصل مرض الرجولة عند النساء

إن الفقهاء قد أفاضوا في بيان وجوه الحكمة من تشريع تعدد الزوجات في الإسلام، ومع ذلك فإنا نشير هنا إلى معنى آخر يمكن أن يضاف إلى ما ذكره الفقهاء من وجوه لحكمة هذا التشريع.

وذلك إنا نرى من أهم فوائد نظام تعدد الزوجات في الإسلام أنه يخلص المرأة من أخطر وأبشع أنواع الأمراض خاصة في هذه الأيام، ألا وهو مرض استرجال النساء الذي غدا شائعاً ومنتشراً كأنه وباء.

فمن مخاطر هذا المرض أنه يجرد المرأة من أجمل وأرق خصائصها، ويحولها إلى شبح كئيب مقزز، فتغدوا في نظر زوجها أكثر دمامة من حيوانات الغابة الموحشة.

فمن الملاحظ أنه في الآونة الأخيرة قد غدا الكثيرات من النساء - خاصة غير الملتزمات بتعاليم دينهن - يسلكن تجاه الرجل مسلكاً عجيباً، فقبل الزواج تكون الواحدة في غاية الرقة والذوق بالإضافة إلى الاهتمام بهندامها ومظهرها بشكل عام.

أما بعد، الزواج فتظهر عليها أعراض الرجولة إذ تدير لزوجها ظهر المِجَن وكأنها تعاقبه على زواجه منها بعد أن كانت تعمل المحال لاجتذابه إليها وإيقاعه في شباكها، فأصبحت لا تبالي بمظهرها حتى غدا في غاية الإهمال، فهي دائماً منعكشة مبهدلة تلبس أرث الثياب، منكوشة الشعر كوحش كاسر، كأنها خارجة لتوها من معركة حربية وليتها كانت خارجة من معركة حربية إذن لهان الأمر وكان ذلك من حسن حظ الرجل، لأنها حينئذ ستكون مهدودة القوى عنه، ولكنها - لسوء طالعه - متحفزة للدخول معه في معركة،

وهي متحفزة لهذا الأمر بصفة دائمة إذ لا يهم أن يكون لديها أى سبب يحتم ذلك، لأن الأمر قد غدا عندها متعة وهواية خاصة بعد أن وثقت أن القوانين هنا تمنعه من التزوج عليها وتحرمه من هذا الحق الذي أعطاه الله له.

إن نظام تعدد الزوجات في الإسلام هو العلاج الناجح لعقد كثير من النساء، لأنه من وصف الله عز وجل الذي خلق الداء والدواء، وخلق الإنسان وشرع له كل ما فيه صلاحه، كما خلق المرأة ويعلم ما في طبعها من اعوجاج، وأن الرجل مهما أوتي من قوة ليس بقادر على تقويم اعوجاجها خاصة إذا كانت مسترجلة غير متدينة، وإنما الكفيل بتقويم هذا الاعوجاج هو التزوج عليها، لأن الحديد لا يفله إلا الحديد ولا يبطل مكر المرأة إلا امرأة مثلها، فتنفث كل منهما سمومها في الأخرى، وينجو الرجل بجلده ولا خوف عليهما من هذه السموم لأن عندهما مناعة طبيعية ضدها وهذه المناعة غير موجودة لدى الرجال لذا كان الزواج بأخرى بمثابة درع أو خط دفاع يحتمي به الرجل من هجوم المرأة الأولى، حيث لا يستطيع بذاته أن يخوض معركة الصمود والتصدي في مواجهتها.

ومن ثم فنحن نرى أن التعدد الآن أصبح ضرورة ملحة أكثر من أى وقت مضى؛ لأن النساء قد غدا لهن مخالب وأنياب، وإن لم يبادر الرجال بإلغاء القانون الذي اتخذوه ضد أنفسهم والذي يؤدي إلى حظر التعدد فقل عليهم السلام، لأن النساء سيفترسنهم وسيقضين على البقية الباقية من الرجولة فيهم.

إن المرأة العنيدة المتسلطة المتعجرفة المهملة في حق زوجها والتي يئس من إصلاحها إذا تزوج عليها بأخرى انقلبت بأسرع من البرق إلى امرأة أخرى تماماً، امرأة هينة لينة وديعة طيبة مهذبة لا

تتكلم إلا همسا، فقد انكمش لسانها في فمها بعد أن كان أطول منها.

إذا تزوج الرجل على امرأته المسترجلة تجد هذا الزواج يحل جميع عقدها المفتعلة، فتصلح من شأن نفسها وتتفنن في إظهار زينتها، فتلبس له أرق الثياب وأجملها بعد أن كانت رديئة المظهر دائماً.

إذا تزوج الرجل على امرأته المسترجلة تجدها تتفانى في خدمته وتلبية طلباته بمجرد إشارة منه، بل وتعمل على تحقيقها قبل أن يطلبها، لأن زواجه عليها جعلها مرهفة شفافة تنفذ ببصيرتها إلى أعماقه فتعرف كل ما يجول فيها من خواطر بعد أن كانت متبلدة المشاعر جامدة الإحساس.

إذا تزوج الرجل على امرأته المسترجلة فإنه لا يلبث أن يجد بوزها الذي كان أطول من زلومة الفيل لتقصف به عمر زوجها قد رحل إلى غير رجعة، فقد استبدلت به ابتسامة رقيقة ناعمة لا تخلو من خبث ودهاء لتجذب بها زوجها النافر وتحقق انتصاراً على ضرتها التي أخذته منها فتكيل لها الصاع صاعين.

الزواج على المرأة المسترجلة هو الهراوة الغليظة التي تحطم غرورها، وتعيد العقل إلى رأسها الفارغ إلا من التفاهات وتجعلها أنثى كما أراد لها الله أن تكون.

فيا ترى هل رأيتم إلى أى مدى كانت رحمة الله تعالى بنا حين شرع لنا نظام تعدد الزوجات؟ وإلى أي مدى كانت جنايتنا على أنفسنا حين وضعنا العراقيل في طريق هذا النظام!

* * *